إنّـَما تصْعبُ مراعاةُ السجعِ والوزنِ ويصعبُ كذلك التّجنيسُ والتّـَرصيعُ إذا رُوعيَ معه المعنى قيلَ له : فأنتَ الآنَ إن عقلتَ ما تقولُ قد خرجتَ من مسألتك وتركتَ أن يستحقّـَ اللفظُ المزيّـَةَ من حيثُ هو لفظٌ وجئتَ تطلبُ لصعوبةِ النّـَظمِ فيما بينَ المعاني طريقاً وتضعُ له علّةً غيرَ ما يعرفُه النّاسُ وتَدّـَعي أنّ ترتيبَ المعاني سهلٌ وأن تفاضُلَ النّـَاس في ذَلك إلى حَدٍّ وأنّـَ الفضيلةَ تزدادُ وتَقوى إذا تُوخّـَي في حُروفِ الألفاظِ التّعادلُ والتّلاؤمُ وهذا مِنك وَهْمُ وذلك أنّا لا نعلمُ لتعادلِ الحروفِ معنىً سِوى أن تسلمَ من نحوِ ما تجدُه في بيتِ أبي تمامٍ : .

( كريمٌ متى أمدحْه أمْدَحْهُ والورى ... ) .

وبيتِ ابنِ يَسِير : .

( وانثنتْ نحوَ عزفِ نفسٍ ذَهولِ ... ) .

وليس اللّفظُ السليمُ من ذلك بمعوزٍ ولا بعزيزِ الوجودِ ولا بالشّيءِ لا يستطيعهُ إلاّ الشّاعرُ المُفلقُ والخطيبُ البليغ فيستقيمَ قياسهُ على السّـَجع والتّـَجنيس ونحوِ ذلك مما إذا رامَهُ المتكلّـَمُ صعبَ عليه تصحيحُ المعاني وتأديةُ الأغراض . فقولُنا : " أطال اللهُ بقاءك وأدام عزّـَك وأتم نعمتَه عليك وزادَ في إحسانه عندك " لفظٌ سليمٌ مما يَكُدّ اللّسانَ وليس في حُروفه استكراهٌ . وهكذا حالُ كلامِ النّاس في كُتبِهم ومُحاوراتِهم لا تكادُ تجدُ فيه هَذا الاستكراهَ لأنه إنّـَما هو شيءٌ يعرضُ للشّاعرِ إذا تكلّـَف وتعمّـَل فأمّا المُرسِلُ نفسَهُ على سَجيّـَتها فلا يعرضُ له ذلك .

هذا والمتعلّـَلُ بمثلِ ما ذكرتُ من أنه إنّـَما يكونُ تلاؤمُ الحروفِ مُعجزاً بعد أن يكوْنَ اللّفظُ دالاً لأنّـَ مراعَاةَ التّعادلِ إنّـَما تصعبُ إذا احتيجَ معَ ذلك إلى مُراعاةِ المعاني - إذا تأملتَ - يذهبُ إلى شيءٍ ظريفٍ وهو أن يصعُبَ مرام اللفظ بسبب المعنى وذلك مُحالُ لأنّ الذي يعرفُه العقلاء عكسُ ذلك وهو أن يصعبُ مَرامُ المعنى بسبب اللّفظ فصعوبةُ ما صَعُب من السّـَجع هي صعوبةٌ عَرضتْ في المعاني من أجلِ الألفاظ وذاك أنّـَهُ صعبَ عليك أن توفقَ بين مَعاني تلكَ الألفاظِ المُسجّـَعةِ وبين مَعاني الفُصول التي جُعلتْ أردافاً لها فلم تستطعْ ذَلك إلا بعد أن عدَلتَ عن أسلوبٍ إلى أسلوبٍ أو دخلتَ في ضرَبٍ منَ المجازِ أو